المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعـة سيدي بلـعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلـد 15 -- العدد 01 -- جوان 2023 ص 67 - 83

محمد سعيد الزاهري
من رجال الإصلاح في الجزائر
Muhammad Saeed Al-Zahiri
One of the men of reform in Algeria

صافر فتيحة - أستاذة محاضر أ Saferfatiha2@gmail.com	تاريخ الجزائر	جامعة وهران 1 / الجزائر

DOI :

الإرسال: 2023/03/28 **القبول**: 2023/06/20 **النشر**: 2023/06/30

ملخص:

محمد سعيد الزاهري واحد من رجال الإصلاح في الجزائر، بدأ حياته النشطة في مجال الإصلاح ونشر الوعي وهو لا يزال طالبا في جامع الزيتونة، ثم عاد إلى وطنه؛ ليبدأ مشوارا حافلا بالعمل والنشاط في مجال التدريس قدوة بمعلمه الشيخ عبد الحميد بن باديس واتخذ من العمل الصحفي وسيلة لنشر أفكاره الإصلاحية وإنتقاد ما كان يراه فاسدا في المجتمع الجزائري والسياسة الاستعمارية، الأمر الذي عرض جرائده التي أنشأها إلى التوقيف المستمر من قبل السلطات الاستعمارية، وتوج نشاطه هذا بانضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان له نشاط واسع في غرب البلاد حتى تاريخ إنعقاد المؤتمر الإسلامي سنة 1936 لما انسحب من الجمعية و أصبح مساندا للتيار الاستقلالي بقيادة مصالي الحاج، غير أن تحيزه لهذا الأخير بعد قيام ثورة التحرير المباركة كان له الأثر المأساوي في نهاية هذا الشيخ الذي ملأ الساحة الجزائرية بكتاباته النثرية والشعرية وفتحت صحفه أبوابها لكل الأقلام النزيهة للمساهمة في نهضة الجزائر الثقافية والفكرية.

كلمات مفتاحية: التيار الإصلاحي؛ جمعية العلماء المسلمين؛ الصحافة الإصلاحية؛ الشيخ البشير الإبراهيمي؛ مصالي الحاج.

Abstract:

Mohamed Said Zaheri, one of the reformists in Algeria, He is still a student at the Zaytouna Mosque he began his active life in the field of reform and awareness raising.Then he returned to his homeland to start a busy career in the field of teaching as an example by his teacher Sheikh Abdelhamid Ben Badis. His reformist ideas and criticism of what he saw as corrupt in Algerian society and colonial policy, which presented His newspapers to the constant arrest by the colonial authorities. He culminated his activity by joining the Association of Algerian Muslim Scholars. He had extensive activity in the west of the country until the date of the Islamic Conference in

1936 when he withdrew from the association and became a supporter of the independent movement led by Masali al-Hadj. But his bias towards the latter after the revolution of blessed liberation had a tragic impact at the end of this Sheikh, who filled the Algerian arena with his writings prose and poetry and opened his newspapers to all fair pens to contribute to the renaissance of Algeria cultural and intellectual

Keywords : Reformist Movement ; Muslim Scholars Association ; Reform Journalism ; echeih el bachir el ebrehimi ; Messali el haj

مقدمة:

من الصعب أو المستحيل أن نتناول بالدراسة أو البحث، تاريخ الحركة الوطنية في الجزائر وخاصة تاريخ و نضال التيار الإسلامي الإصلاحي، دون أن نتطرق بالدراسة أو بالذكر إلى الشخصيات التي حملت على عاتقها السير بهذا المنهج في طريق صعب كله أشواك، ومنها شخص الشيخ محمد سعيد الزاهري؛ هذه الشخصية التي وهبت جهدها و حياتها لهذا التيار النضالي الذي ترأسته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و قد كان أحد أعضاء لجنتها المديرة، لقد تبنى محمد سعيد الزاهري الفكر الإصلاحي فكانت كل كتاباته و إنتاجه الفكري و نشاطه السياسي يصب في هذا الاتجاه، فإنتاجه الغزير و أسلوبه المميز جعل صيته يتعدى حدود الوطن فيكسب اعتراف و تقدير الكثير من المفكرين و المصلحين في الوطن العربي، حيث مكنته ثقافته الواسعة من الكتابة في كثير من المواضيع الاجتماعية و السياسية و نشر مقالاته في العديد من المجلات والصحف داخل الوطن وخارجه، غير أن نهاية هذه الشخصية المأساوية تجعلنا نتسائل لماذا انتهت حياته بهذه الطريقة؟ من خلال هذا المقال سنتتبع أهم الخطوات والمحطات في تاريخ الشيخ محمد سعيد الزاهري وسنحاول الكشف عن جوانب من حياته المليئة بالعمل الدؤوب إلى غاية نهايتها المأساوية.

1. **الولادة والنشأة :**

هو الشيخ محمد سعيد بن البشير بن علي بو زاهر المعروف بمحمد سعيد الزاهري من أسرة معروفة بالورع و الثقافة العربية و العلوم الدينية ، ولد في 18 سبتمبر 1899 (التعليق رقم1) بقرية ليانة بمدينة بسكرة، هذه المدينة التي خرج منها الأعلام و

القضاة و المثقفين و مشايخ الذكر و الأدب، بدأ تعليمه على يد جده الشيخ علي بناجي الزاهري وشيوخ آخرين أمثال الشيخ علي بالعابد السنوسي و الشيخ علي بلبوخاري خليفة، وكذلك عمه عبد الرحيم الزاهري وغيرهم، حيث حفظ على يدهم القرآن و تعلم مبادئ الفقه والتوحيد و اللغة العربية، و في أواخر الحرب العالمية الأولى رحل إلى مدينة قسنطينة، فأقام بالجامع الأخضر زهاء السنة يستمع ويتعلم من الدروس التي كان يقدمها رجال الإصلاح ، بعدها انتقل الزاهري رفقة عمه رشيد (مقدم الطريقة القادرية) إلى واد سوف، وهناك اتصل بزعيم الطريقة القادرية الذي عرض عليه أن يرافق أبنائه في رحلة طلب العلم إلى تونس، فكانت هذه الرحلة فرصة للزاهري حتى بنهل من معين العلم والمعرفة بجامع الزيتونة، (بلعجال، 2015 صفحة 143) فراح يغرف من ينابيع المعرفة في خضم النهضة العربية التي بدأت معالمها تتراءى في كثير من البلاد العربية و منها تونس، وزاحم روادها في التحصيل وكسب المعارف والتقى بأبرز الشخصيات الأدبية والفكرية، إلى أن حصل على أعلى شهاداته في أواخر عام 1924. (شهادة التطويع العالمية). (Achour, 1996 p. 81)

2.محمد سعيد الزاهري الصحفي:

بمجرد عودته إلى الوطن بعد رحلة الدراسة التي قادته إلى جامع الزيتونة، و بعد أربع سنوات من التحصيل العلمي و التفاعل الفكري و الثقافي مع رواد النهضة الفكرية و السياسية التي أخذت معالمها تتبلور في تونس، شارك فيها الزاهري بشكل فعال عبر مقالات صحفية نشرها بجريدة النهضة التونسية ذات التوجه الاستقلالي لصاحبها الظاهر بن الحاج مبروك (1923-1953)، وقد ظل ا يراسلها لسنوت طوال، كما نشر مقالاته بجريدة الوزير التي أسسها الطيب بن عيسى ذو الأصول الجزائرية (1920-1956) وجريدة الزهر لصاحبها عبد الرحمان الصندالي (1889-1953).

اتخذ الزاهري من الصحافة وسيلة، تمكنه من توصيل صوته وأفكاره الإصلاحية لتوعية افراد المجتمع الجزائري، فكانت بالنسبة له المنبر الذي يعتليه أمامهم (مرتاض، 1976 صفحة 29)لما لها من دور هام و فعال لنشر الأفكار و التأثير في الغير.فكانت أداته لتكوين الأمة تكوينا صحيحا من حيث الأخلاق الفاضلة، والتفكير الصحيح ولمقاومة الأوهام والرذائل وبث روح الوئام والتفاؤل.

أصدر الزاهري بعد عودته إلى الوطن أول جريدة له وهي جريدة " الجزائر" فكانت جريدة سياسية،أدبية، تربوية، اجتماعية، اتخذت شعارا لها " الجزائر للجزائريين".ويبدو أنها ساندت الاتجاه الذي دعا إليه الأمير خالد (سعد الله، 1985 صفحة 285) .فلم تعمر طويلا حيث ظهر منها عددان فقط (ظهر العدد الأول في 1 أكتوبر 1925). ويذكر الزاهري ان تعطيل جريدة "الجزائر " كان لسبب تافه، وهو أن مترجم الإدارة الفرنسية، ترجم عنها كلمة "النهضة " بكلمة فرنسية معناها "الثورة". (الشهاب، 1933 صفحة 367)

هذه التجربة الفاشلة لم تثني من عزم الشيخ الذي أصدر بمدينة قسنطينة في يوم 7مارس 1927 العدد الأول من جريدته الثانية "البرق". وقد كتب فوق العنوان عبارة:" تسامحوا فيما بينكم فإنه لا سبيل للإتحاد كالتسامح." عمرت هذه الجريدة بعض الوقت لتصل إلى 23 عددا. هنا لا بد من الإشارة أن هناك اختلاف في المراجع التي تناولت تاريخ الصحافة العربية في الجزائر حيث لم تتفق حول مؤسس هذه الجريدة منها من ينسبها للزاهري ومنها من ينسبها إلى اسم آخر هو محمد رحموني. كما اختلفت المراجع حول الأعداد التي ظهرت منها فبعض هذه المراجع يؤكد أنها لم تعمر طويلا منها، لكن الأرجح أنه كانت هناك جريدتين بنفس الإسم في تواريخ متقاربة.

ظلت جريدة البرق تطبع بالمطبعة الإسلامية بقسنطينة إلى غاية العدد السابع عشر، ثم اضطر الزاهري إلى نقلها لتطبع بمطبعة النهضة التونسية بعد خلاف وقع بينه وبين صاحب المطبعة الأولى.

تميزت مقالاتها النارية بالسخرية والتهكم ضد أولئك الذين كانوا ضد الإصلاح الأمر الذي جلب لها عداوة دعاة الإندماج مثل بلقاسم بن التهامي الذي سعى إلى توقيفها برفع دعوة قضائية ضدها متهما إياها بجرح كرامة الأفراد لكنه فشل في مسعاه. (بلعجال، 2006 صفحة 26) كما فتحت صفحاتها لكثير من الأقلام الجزائرية التي كان بعضهم يوقع مقالاته بأسماء مستعارة. فقد كان الأمين العمودي يذيل مقالاته باسم سمهري، أما الشيخ مبارك الميلي فقد كان يوقع مقالاته باسم السلفي، في المقابل استخدم الشيخ الزاهري الكثير من الأسماء المستعارة كتأبط شرا، رقيب، الراصد، جساس (طبيش، 2007 صفحة 24) ومرة أخرى تعرضت الجريدة للتوقيف بسبب نهجها الإصلاحي. (الجابري، 1989 صفحة 107)

بعد استقراره بمدينة وهران أصدر الزاهري جريدة " الوفاق" وهي الجريدة التي سبق لأبو اليقضان صاحب جريدة" الأمة" الإعلان عن ظهور العدد الأول منها في 27 مارس1938، لكن الأقوال تضاربت حول أهداف جريدة الوفاق، التي وصفها أبو اليقضان بأنها جريدة عربية أسبوعية سياسية جامعة، تدعو إلى جمع الصفوف بتوحيد الجمهور على خدمة الصالح العام، (الزبير، 1985 صفحة 118) بينما اجمعت مراجع أخرى، على أنها كانت جريدة حارب من خلالها الزاهري جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و خاصة شخصي الشيخ عبد الحميد بن باديس و الشيخ البشير الإبراهيمي، كما كانت لسان حال التنظيم الذي أسسه عام 1936 لمؤازرة الجبهة الشعبية و الحزب الشيوعي، (Kaddache, 1978 p. 576)ومنهم المؤرخ أبو القاسم سعد الله، الذي ذكر أن الزاهري في هذه المرحلة بدأ ينتقد بعض رجالات الجمعية وأن جريدته الوفاق مالت إلى إتجاه جمعية النواب برئاسة إبن جلول (سعد الله، 1985 صفحة 258)، صدر من جريدو الوفاق 40 عددا وكان آخرها عدد30 جويلية 1940.

بعد الحرب العالمية الثانية أصدر الزاهري جريدة " المغرب العربي" سنة 1948. ويبدو أن هذه الجريدة التي كانت تنسب إلى الشيخ هي من الجرائد التي أسستها حركة انتصار الحريات الديمقراطية. ففي مذكراته يصف المناضل حسين آيت احمد كيف تعرف على الرجل، خلال زياراته للزعيم مصالي الحاج، و كيف رفض مع المناضل بلوزداد أن يشرف الزاهري على هذه الجريدة، ورغم هذا صدرت الجريدة، وعبر صفحاتها شن الزاهري حربا دون هوادة على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكذلك على فرحات عباس (Ait Ahmed, 1983 p. 10) ، كما قيل أن حزب الشعب كان يساندها بطريقة غير شرعية ويبدو أنها مالت عند وقوع الخلاف داخل الحزب إلى صف الزعيم مصالي الحاج، وقد ذهب الزاهري ضحية هذا الخلاف، (مصمودي، 2006 صفحة 93) . توقفت في ماي 1949 وعاودت الصدور في 17 مارس 1956.

لم تتوقف موهبة الزاهري عند إصدار الجرائد، فقد تعدى اهتمامه بالعمل الصحفي إلى المشاركة في تحرير الكثير منها و خاصة الجرائد الإصلاحية، حيث تولى رئاسة تحرير جريدتي الشريعة الإسلامية و البصائر مع الشيخ الطيب العقبى، ونشر مقالاته في جرائد مثل الشريعة، واد ميزاب و الأمة لصاحبها أبو اليقظان، و لأن مهارة الزاهري الصحفية لم تقتصر على الكتابة باللغة العربية فقد شارك في تحرير الصفحة الإسلامية

بجريدة Oran Républicain الفرنسية حيث كان ينشر له كل يوم خميس مواضيع إسلامية مختلفة بالصفحة الإسلامية؛ وهي مخصصة لكل ما يهتم بالجانب الإسلامي والعربي من أخبار سياسية وتحليلات مختلفة، ومن خلال هذه الصفحة نتعرف على ثقافة الشيخ الواسعة واطلاعه على الكثير من أخبار العالم الإسلامي.

ومشاركته بجريدة La défense لزميله الأمين العمودي، ولم يكتفي الزاهري بالكتابة في الجرائد المحلية حيث نجد له مشاركات في بعض العناوين الصحفية العربية كجريدة الرسالة لأحمد حسن الزيات، ومجلة الفتح، لصاحبها محب الدين الخطيب اللتان كانتا تصدران بمصر، ومجلة الحضارة التي كان يصدرها عبد الحميد الزهراوي بالأستانة. (سعد الله، 1985 صفحة 271)

سواء باللغة العربية أو الفرنسية تناولت مقالات الزاهري مختلف جوانب الحياة الاجتماعية و الثقافية والسياسية في الجزائر والعالم العربي و في الكثير من مقالاته تطرق لبلدان من أوروبا و آسيا بأسلوب واضح جلي، و هذا دليل على سعة و ثراء علمه وثقافته حيث برع الزاهري في كتابة المقال الصحفي، باللغة العربية و اللغة الفرنسية، فكان المعبر عن أفكاره وتوجهاته الفكرية والإديولوجية، ومن خلالها شرح وحلل وسرد بلغة قوية وسليمة كما رد على أعدائه وخصومه، وكذلك من خلالها هاجم وآزر حال البلاد والعباد في تلك المراحل الحاسمة من تاريخ الجزائر، وكم من مرة جلبت له مقالاته الخصومة وردود الأفعال العنيفة من أعدائه وخصوم الإصلاح في الجزائر.

أدرك الزاهري أهمية الصحافة وتأثيرها القوي على المجتمع، فكان حريصا منذ عودته إلى الجزائر على إصدار الصحف، العنوان بعد الآخر فكلما أوقفت له السلطات الفرنسية صحيفة أنشأ أخرى، كما لم يتوقف عن المساهمة في الصحف المختلفة داخل وخارج البلاد. ولم تثنه ممارسات الإدارة الفرنسية التي كانت له بالمرصاد تتعقب ما يكتب وما ينشر بجرائده لتوقفها. ويصف الزاهري بعض مظاهر الاضطهاد المسلط على الجرائد العربية في الجزائر في ذلك الحين حيث كتب يقول .."ومع ذلك، فصحافتنا العربية...لا تزال ترزخ تحت الأغلال والقيود :فقد شدت السلطة وثاقها، وأمسكت بخناقها، وتكتم أنفاسها كما تشاء وتختار، وتقتلها دون محاكمة ولا سؤال...فليس أمامنا إلا أمران لا ثالث لهما: أما أن نكسر أقلامنا ونريح أنفسنا من هذا العناء، وأما أن نصبر ونتحمل، ونستعد لكل ما

يصيب صحافتنا من خراب، ويصيب عيالنا من المحنة والبلاء". (الشهاب، 1933 صفحة 368)

3. محمد سعيد الزاهري الأديب والشاعر والمدرس.

أ. المدرس: بدأ الزاهري نشاطه الإصلاحي بمسقط رأسه بمدينة بسكرة كمدرس بمدارسها العربية الحرة ودعا إلى تأسيس مدرسة للتربية والتعليم التي رأت النور عام 1931، وهي مدرسة " الإيخاء" تحت إشراف محمد خير الدين واحد من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين. (بالعجال، 2015 صفحة 143)، لكنه سرعان ما توقف عن التدريس ليتفرغ للعمل الصحفي، و في عام 1929 عاد للتدريس بمدينة الأغواط لكنه لم يستمر طويلا حيث أسس بها مدرسة الشبيبة القرآنية التي خلفه عليها زميله مبارك الميلي، فقد انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعمل معلما في المدارس الحرة التي كانت تشرف، عليها فانتقل بين مدن كثيرة وفي مدينة وهران، أنشأ جمعية " الإصلاحية" سنة 1934 لتعليم اللغة العربية وبعث روح العروبة بين أبناء الجزائريين (مراد، 1999 صفحة 132)، أما في مدارس مدينة تلمسان فقد تولى تدريس مادة النحو و الأدب في المكان المعروف بزقاق الرمان، ويصفه الدكتور قورصو بناءا على شهادة بعض تلامذته قائلا :" كان يحب تلاميذه و يطلعهم على مقالاته التي كان ينشرها في المشرق و بعضها تحت اسم مستعار"(El korso, 1989 p. 43) لكن المتتبع لنشاط الزاهري يلاحظ أن التدريس لم يكن من أولوياته مقارنة بالعمل الصحفي، فإذا كان جزءا من عمله الإصلاحي فإنه لم يوليه جل وقته حيث كان يتوقف عنه بعد فترة من البدء فيه.

ب. الشاعر: لم تتوقف ملكة الزاهري عند كتابة المقالات الدالة على سعة علمه و قوة حجته و براعته في التوضيح و الإقناع، بل كانت له مساهمات شعرية وأدبية منذ كان طالبا بتونس، فقد صدرت له العديد من القصائد الشعرية التي تدل على تأثر البالغ بقضايا وأوجاع وطنه وأهله، وفي هذا الشأن كتب يبرر ما دعاه لكتابة الشعر، قائلا هي " ...الحالة الأليمة التي كانت تتردى فيها الجزائر في أوائل القرن و الانحراف الديني الذي كان يغذيه المستعمر من جهة و يزكيه الجهل المطبق من جهة أخرى" (خرفي، ب.ت صفحة 42) هذه

الأوضاع كانت كفيلة لتفجر عند ذوي الإحساس المرهف من المثقفين الذين تعرفوا في دراستهم على أزهى عصور الجزائر في التاريخ، فهو يقارن الحاضر بالماضي فيتمزق قلبه بين أمس مرفوع الجبين و حاضر معفر في التراب فيقول. (الجابري، 1989 صفحة 306)

لست أقول الشعر إلا لأنني أروج ما تخفي الضلوع وتحجب

ولوع بإدراك المعالي يريدها وكل امرئ يهوى المعالي محبب

وفي قصيدة اخرى كتب عن الجزائر وما أصابها يقول:

ويلاه، اذهل خاطري عما بي ما بالجزائر من اليم عـذاب

فنسيت من بؤس الجزائر،كل ما القاه في الدنيا من الأتعـاب

وفنيت في حب الجزائر،مثلما يفني المحب الحق في الأحباب

وإذا أصاب بني الجزائر فهناك عظيم بليتي، ومصابي

كيف الخلاص من الجزائر؟ بعدما ملكت علي مشاعري وصوابي

فإذا ضحكت، فللجزائر، أو نحبت فلم يكن، إلا لها، تنحـابي

ويلذ لي، من بعد ذلك، أن يطول على الجزائر في الحساب حسابي

(الجابري، 1989 صفحة 307)

ج. **الروائي والأديب:** يعد الزاهري كذلك من الرواد الذين حاولوا ولوج عالم القصة الأدبية، إذ تعود بدايات القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية إلى سنة 1925 حين ظهرت أول محاولة قصصية على صفحات جريدة "الجزائر" بعنوان "فرا نسوا والرشيد" لمحمد سعيد الزاهري، وعلى الرغم من افتقارها إلى التركيز والتسلسل القصصي المتماسك حيث غلب عليها السرد التقريري والوعظ التعليمي المباشر وهذا الطرح ذهب إليه الدكتور عمار زعموش والدكتور عبد الله الركيبي في بحثهم حول " القصة القصيرة في

الأدب الجزائري " في الستينيات من القرن العشرين، والطرح نفسه أقره الدكتور عبد الملك مرتاض في كتابه "القصة الجزائرية المعاصرة" (مرتاض، 2003 صفحة 96).

كانت هذه المحاولة مدعاة لتأسيس أول جائزة أدبية أعلنت عنها جريدة "المنتقد" لأفضل قصيدة شعرية ترثي شخصية "الرشيد" في القصة، وقد فاز بها الشيخ محمد آل خليفة (نشرت في المنتقد 2جوان 1925)، هكذا سجل الزاهري إسمه ضمن أوائل الكتاب الذين مهدوا لظهور القصة و الرواية باللغة العربية في الأدب الجزائري وإن كان الأديب أحمد رضا حوحو الذي عاش فترة زمنية بالحجاز يعد الرائد الأول لفن القصة القصيرة في الجزائر وهو الذي أعطاها مكانتها الخاصة وثبت وجودها في الأدب الجزائري الحديث.

من مؤلفات الزاهري التي نالت شهرة واسعة وإعجاب المفكرين والمثقفين في الجزائر والوطن العربي كتابه" الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" و هو في حقيقة الأمر عبارة عن مجموعة من المقالات التي كان ينشرها في جرائد مختلفة و خاصة مجلة " الفتح" المصرية. (محمد زيان، 2007 صفحة 71) وقد ذكر الزاهري في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب أن ما دعاه لنشره هو ما كان يصله ويقرأه من إعجاب قراء مجلة الفتح بما كان ينشر له على صفحاتها.

عن هذا الكتاب كتب العلامة عبد الحميد بن باديس في مجلة " الشهاب 1929" : " عرفناه في هذا الكتاب داعية إسلاميا كبيرا، و قد خاض مسألة الحجاب، و المرأة الجزائرية و مسألة الإسلام و التغريب، و الشبيبة المتعلمة، فأبان عن حقائق و أقام الحجج ما لا يلقاه أشد الخصوم، إذ أنصف إلا بالإكبار و التسليم و ساق ذلك في أسلوب من البلاغة الشبيه بالروائي، سهل جذاب لا يستطيع أن تتركه قبل أن تأتي على آخره." (كحكاح، 2006 صفحة 793)

4.محمد سعيد الزاهري الرجل المصلح.

عرفت الجزائر الفكر الإصلاحي منذ نهاية القرن التاسع عشر(19)، وتأكد ذلك بعد زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر في سبتمبر 1903، حيث كان لهذه الزيارة أثرا طيبا على المثقفين الجزائريين، فازدادت الحركة الإصلاحية انتشارا خاصة بعدما أخذ الشيخ عبد الحميد بن باديس على عاتقه نشر هذا الفكر واجتمع حوله مجموعة من

الجزائريين الذي توجوا افكارهم وتطلعاتهم وجهودهم بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 5 ماي 1031.

ككل رجالات الجزائر الذين اتخذوا من الإصلاح منهجا في مشوار حياتهم النضالية، عن قناعة منهم بأن التحرر من سيطرة الاحتلال تبدأ من تحرير النفوس من تبعية التقليد و نبذ الخرافات و المعتقدات البعيدة عن الإسلام و ذلك بتكوين الأمة تكوينا صحيحا قائما على التفكير الصحيح وعلى التمسك بالقرآن و السنة و الأخذ بأسباب العلوم الحديثة، كان الزاهري من أبرز الكتاب والشعراء خلال العشرينات والثلاثينات ومن أكثرهم غيرة على الوطن والدين،حيث قام بدور فعال لنشر الإسلام وحماية الشباب من خطر المبشرين وما كان يقوم به الأباء البيض والأخوات، فكان الإصلاح في نظره لا يكمن في إعلان الحرب على الطرقية فقط، وقضاء جل الوقت في البحث عن العبارات الجارحة للتراشق بها، كما أن لا يعني الإنغلاق في جو التعليم والتربية دون الإهتمام بالتوعية والتكوين السياسي، بل كان الإصلاح الحقيقي في نظره هو الذي يسعى دائما إلى تقريب المسافات بين مختلف الطوائف الشعبية التي لا تزال الرجعية الإستعمارية تنشر بين صفوفها التفرقة والخصام لتستغلها لما تبتنه من الشر والأذى،و وصف رجال الإصلاح يقول : " هم رجال الأمة وروادها، لا يكذبون أهله ويأخذون بيده في طريق الخلاص، توجيه العزائم، وتحريك الهمم، وصدق الطلب والإخلاص، والصبر والثبات". (الزبيري، 1985 صفحة 66) لهذا ونحن نتتبع مسيرة حياته المليئة بالأحداث قسمناها إلى ثلاث مراحل اختلفت فيها كل مرحلة عن الأخرى بما امتازت به من أحداث وتحولات في كتاباته ومواقفه.

1.4- مرحلة الانخراط التام في العمل الإصلاحي و تبدأ من 1925 إلى غاية 1931

وفيها اتخذ من العمل الإصلاحي منهجا ووسيلة لمحاربة الاستعمار، تبدأ مباشرة بعد عودة الزاهري من تونس و قد استهلها بالتدريس في المدارس العربية الحرة و لأن طبيعة شخصيته لا تحبذ الاستقرار و الخلود للروتين كان الزاهري كثير التنقل حيث أستقر لفترة وجيزة بمدينة الأغواط للتدريس ثم سافر إلى الجزائر العاصمة و هناك أصدر جريدته " الجزائر" التي أوقفتها الإدارة الاستعمارية، بعدها انتقل إلى مدينة قسنطينة و هناك عمل على إصدار جريدة " البرق" ، و خلال هذه المرحلة كانت الكلمة المكتوبة السلاح

الذي اتخذه الزاهري لمحاربة العادات و التقاليد التي أفسدت الأمة و أبعدتها عن تعاليم الإسلام الصحيحة، وأظهر عداوته للطرقية وقادتها ناعتا إياهم بأدوات الإدارة الفرنسية، ويأتي الزاهري في الحرب على الطرقية والزوايا مباشرة بعد الشيخ الطيب العقبي، وخاصة في منطقة الزيبان، حيث دعا الإدارة الفرنسية لمحاربة خداعهم للناس، وشكرها لما منعت رجال الزوايا من جمع الأموال، وفي مواقع أخرى دعاها لمنع الطريقة الطيبية وغيرها من الطرق الصوفية الموجودة بالمنطقة، لما تقوم به من منكرات تسيء للدين الإسلامي، كما حملها مسؤولية تردي أوضاع الناس، وحارب فكرة النسب الشريف التي أصبح بعض الناس يستغلونها، (بالعجال، 2015 صفحة 77) ، استمرت هذه المرحلة في حياة الشيخ ينشط فيها في حقل الإصلاح كغيره من علماء الأمة في هذه الفترة من تاريخ الجزائر إلى غاية تلبيته دعوة الشيخ عبد الحميد بن باديس لتأسيس جمعية تجمع وتنظم جهود كل المصلحين في الجزائر .

2.4- مرحلة الثانية الإنضمام إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتبدأ من 1931إلى سنة 1936

وفيها أصبح الزاهري عضوا من أعضاء مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفردا فعالا فيها، وفي بداية عام 1933 أصبح ممثلا للجمعية بالغرب الجزائري و من الشخصيات البارزة في مدينة وهران، كما رافق الشيخ عبد الحميد بن باديس في زياراته إلى ارزيو و معسكر (طالبي، 1997 صفحة 323)، فكان واحدا من الواضعين لأسس جمعية العلماء بالغرب الجزائري ومن الذين نشروا فكرها وأهدافها بالمنطقة، وبالإضافة إلى نشاطه التدريسي و الصحفي شارك في أشغال المؤتمر الأول للجمعية المنعقد بنادي الترقي سنة 1935 وألقى به قصيدة تحامل فيها على الزوايا و المرابطين (قوبع، 2008 صفحة 81).

في عام 1936 أعلن عن تأسيس جمعية لإحياء الأدب العربي وتشجيع التأليف في الجزائر باللغة العربية وطبع مؤلفات الأسلاف أطلق عليها اسم " جمعية أخوان الأدب." لكن القدر لم يهيئ الظروف لميلاد هذه الجمعية .حيث كتب يصف هذه الجمعية وأهدافها قائلا :" نعمل على إحياء الأدب العربي في هذه البلاد حتى يكون عاملا قويا في نشر العروبة ومكارمها بين هؤلاء العرب وفي بعث الشعور الإسلامي في أنفس هؤلاء المسلمين

وذلك بطبع ما كتب الأسلاف وإعطاء الفرص في الجزائر للشبان الذين يكتبون خير القصص، وبشراء نسخ من الكتب التي ترضى عنها، (اخوان الأدب) بالإحتفاء بالعاملين في هذا الحقل الأدبي وبتكريمهم وإقامة الحفلات لهم... وتنوي إخوان الأدب أن تؤدي واجبها وواجب هذه الأمة نحو هذا الشح الضئيل في صحافتنا العربية فتنتدب من أعضائها لكل صحيفة من يكتب فيها ." (البصائر، 1936 صفحة 94)

اتخذ الزاهري، من الصحافة منبرا لمحاربة البدع والخرافات ودعا إلى التمسك بالقرآن والسنة الشريفة وانتقد بشدة الزوايا والطرقيين الذين وصفهم بالتآمر مع السلطة لغلق المساجد في وجه علماء الدين وأيضا لإغلاق الكتاتيب القرآنية وتعطيل المدارس العربية، فدفعوا بأطفال المسلمين إلى الشارع ودفعوهم إلى أحضان المبشرين، كما خصص أعدادا كاملة من جريدته لكشف أسرار الزوايا ومحاربة خرافاتهم وفسادها وخاصة منها زاوية عابد، كما كان شديدا على الرحمانية وتعاطف مع التيجانية فوصف شيخها بالصلاح ودعا للإقتداء به (كحكاح، 2006 صفحة 79)، واتهم أبن عليوة صاحب الزاوية العلوية بالتصوف الكاذب وبالجهل والكفر والإلحاد . (بالعجال، 2015 صفحة 66)

بسبب مواقفه المعادية بشدة للطرقيين وعلماء الاستعمار تعرض الشيخ في جوان من نفس السنة لاعتداء كاد يؤدي بحياته إذ شج أحدهم رأسه بهراوة، ولم تقدم الإدارة الفرنسية أي جهد للقبض على الجاني. فنشرت جريدة "الشريعة" الخبر وانتقدت الكيفية التي تعاملت بها الإدارة الفرنسية مع هذا الاعتداء وتقاعسها في البحث عن الجاني، (الشريعة، 1933 صفحة 5)

تعد هذه المرحلة من أخصب وأفضل مراحل حياته فقد خلف لنا خلال ها كما هائلا من المقالات والمشاركات في مختلف جوانب الحياة فدل ذلك على عالم واسع الإطلاع وغزير المعرفة، فعن محاربته للتنصير والتبشير عمل على فضح اساليب المبشرين الملتوية وأتهم الإدارة الفرنسية بدعم هذه السياسة حيث كتب الزاهري عن أساليبهم يقول :" وهم في الواقع لا ينشئون مدارس ولا مستشفيات، كما نفهمه من هذه الأسماء، بل هم ينشئون بين أوساطنا الإسلامية والعربية مراكز للتنصير والتظليل... والأخطر أن ترى السلطة تشترك في المآدب والحفلات التي يقيمها هؤلاء المضللون، كما فتحوا في هذا البلد الإسلامي مراكز للتنصير والتضليل وهذا معناه أن السلطة وهي علمانية تحمي هؤلاء المضللين وتساعدهم في الإستيلاء على عقائد المسلمين ." (الشهاب، 1933 صفحة 368)

في هذه المرحلة من تاريخ الشيخ، أظهر ميوله إلى العمل السياسي و أظهر تعاطفه مع الجبهة الشعبية التي كان تمثل اليسار الفرنسي الذي فاز في انتخابات ماي 1936، وعشية إنعقاد المؤتمر الإسلامي(1936) الذي جمع كل التيارات السياسية والفكرية الجزائرية ما عادى التيار الاستقلالي ، أسس الزاهري " كتلة الجمعيات الإسلامية لعمالة وهران" حيث ضمت حوالي 13 جمعية للترويج لفكرة المؤتمر قبل وبعد انعقاده، كما بدأت معالم خلافه مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تظهر، فهاجم بشدة رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي، وفي 14 جويلية 1936 نشرت الكتلة رسالة شديدة اللهجة ضد الشيخ البشير الإبراهيمي الذي دعا الجزائريين للتظاهر بمناسبة إحتفال الجبهة الشعبية، ووصل به الأمر إلى إتهامه بالإنتماء إلى التجمع الماسوني بسطيف (مهديد، 2006 صفحة 340) وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى حماس وإندفاع كتلة الجمعيات الإسلامية لعمالة وهران، المتعاطفة مع الحزب الشيوعي والأحزاب اليسارية لتنشيط الإجتماعات وسط الجماهير لصالح تطبيق مشروع بلوم فيوليت. (مهديد، 2006 صفحة 428)

3.4 - مرحلة التوجه إلى النشاط السياسي وتخليه عن عضوية جمعية العلماء وتبدأ من 1937 إلى غاية 1956

تعتبر هذه المرحلة من أشد مراحل حياة الشيخ غموضا، ففي ظل انعدام الوثائق لا نجد تفسيرا للتحول الذي عرفته هذه الشخصية في علاقتها بالقوى الإصلاحية والسياسية التي كانت فاعلة في هذه الفترة، ولعل هذا التحول الخطير هو الذي يفسر نهايته المأساوية التي تظل بدورها تفتقد إلى المعلومات الموثقة التي تبررها، فمن رجل إصلاح وواحد من رجالات جمعية العلماء المسلمين المعول عليهم، تحول الشيخ إلى عدو لدود لرجالاتها خاصة لرئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي. (الإبراهيمي، 1997 صفحة 558)

فبالرغم من أنه كان محسوبا على الإتجاه الإصلاحي في الجزائر آنذاك فقد أخذ ينتقد بعض رجالات الجمعية وهم يعيشون محنة العداء الواضح الذي أظهره لهم الدكتور بن جلول وإعتقال الشيخ الطيب العقبي وخروجه من المجلس الإداري للجمعية (سعد الله، 1985 صفحة 335). وظهور الحساسيات بينه وبين الشيخ عبد الحميد بن باديس، نجده في هذه المرحلة من حياته يقترب من أعضاء حزب الشعب الجزائري، من خلال زياراته المتكررة لزعيمه مصالي الحاج ومشاركته في إصدار جريدة " المغرب الإسلامي " وبعد الحرب

العالمية الثانية انضم إلى الطاقم الدعائي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D)كمحرر بجريدة المغرب العربي واستمر في مناصرة الحزب والدفاع من مبادئه حتى قيام الثورة التحريرية، فآثر البقاء إلى جانب مصالي الحاج، يناصر حركته التي أنشأها بعد انقسام حزبه سنة 1953باسم الحركة الوطنية الجزائرية المصالية (M.N.A) ، وهذا الأمر أثار حفيظة قادة جبهة التحرير الوطني ضده فأمروا بتصفيته. (مصمودي، 2006 صفحة 117) كما نشهد في هذه الفترة تراجعه عن انتقاد الطرقية عموما بإعتبارها أداة في يد الإدارة الإستعمارية والتي كانت أحد الموضوعات التي ركز عليها الزاهري في نهجه الإصلاحي قبل هذا، ففي أفريل من عام 1938 شارك في مؤتمر لأصحاب الطرق، دام ثلاثة أيام برئاسة الشيخ مصطفى القاسمي. (سعد الله، 1985 صفحة 345) ودعا عبر جريدة الوفاق إلى تقريب المسافات وتوحيد الرؤى بين الطرقيين والإصلاحيين فقد كتب:" إن أعداء الإسلام والمستعمرين يحملون على الطرقيين والإصلاحيين معا فلماذا لا نوحد جهودنا لدفع الخطر." كما عبر عن وقوفه مسافة واحدة من كل القوى السياسية الجزائرية حيث كتب يقول:" لا تفرق الوفاق بين أحد من الطرقيين والإصلاحيين ولا بين واحد من النواب المسلمين لعمالة قسنطينة أو كتلة الجمعيات الإسلامية لعمالة وهران، وسنقف في الموقف نفسه مع أحزاب الجبهة الشعبية ومنظماتها." (مصمودي، 2006 صفحة 143)

خاتمة

قضى الزاهري كل حياته في عالم العلم والمعرفة، وأدرك منذ البداية أنهما الوسيلتان الأساسيتان لمحاربة الإستعمار والجهل والبدع، تحدوه في ذلك إرادة قوية لنهضة المجتمع الجزائري بالإصلاح والتربية والتعليم ونشر العلم، فأتخذ من الصحافة درعا حارب من خلالها البدع والفتن بأسلوب قصصي شّيق وبلاغة لغوية نادرا ما تطوعت لعالم مثله، فكان أكتب كتاب الجزائر بين العشرينات إلى غاية الثورة الجزائرية على المستعمر، لكننا إلى اليوم لا نستطيع أن نفسر التحولات الجوهرية التي دخلت حياته وغيرت مساراته من رجل إصلاح يهاجم الطرقية والطرقيين إلى داع للتقارب بينهم وبين الإصلاحيين، كما هادن الإدارة الإستعمارية التي ظل يهاجمها ويصفها بأبشع الصفات، من خلال كتلة التجمعات الحزبية التي أسسها، وفي الأخير ناصر من اعتبر في وقته عدو الثورة والشعب. يبدو أن الشيخ الزاهري رغم ما كسبه من علم ورغم الملكات اللغوية والأدبية التي سخرها

له الله إلا أنه كان شديد التأثر بمن حوله من شخصيات ورجال لها، فلما عاش في محيط الشيخ ابن باديس تأثر بأفكاره الإصلاحية لذلك سار في طريق الإصلاح وحارب كل من حاربتهم جمعية العلماء، وما إن توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس حتى غير مواقفه. ولما عاش في محيط المصالي الحاج ونحن نعرف علاقة هذا الأخير بالطرقية. تأثر به، لذلك هاجم الشيخ البشير الإبراهيمي وتقرب من الطرقيين ومن المصاليين إلى أن لقي حتفه اغتيالا قرب مسجد كتشاوة بعاصمة الجزائر.

اغتيل الشيخ محمد سعيد الزاهري وبقيت ذكراه وكتاباته خالدة تشهد على مواقفه ومعاركه الفكرية. ولا يمكن أن ننكر مساره وجهوده في المجال الفكري والأدبي.

التعليقات:

التعليق رقم 1: تلفت المراجع حول تاريخ ميلاد الشيخ سعيد الزاهري، حيث يقول صالح خرفي أنه ولد سنة 1900، بينما يقول فوزي مصمودي أنه ولد في حدود سنة 1899. أما شهادة ميلاد الشيخ المستخرجة من زريبة الوادي فتثبت أنه ولد سنة 1901 دون تحديد اليوم ولا الشهر. أخذا بدراسة الباحثة كحكاح يمينة. حول هذه الشخصية .

قائمة المراجع:

- أبو القاسم سعد الله. 1985. تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1985. صفحة 258. المجلد الجزء5

- ـــ. 1985. تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1985. المجلد 4.

- أحمد بالعجال. 2015. الإصلاح في فكر الشيخ محمد السعيد الزاهري الجزائري 1900-1956. جامعة الواد. مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية. جوان, 2015، 9، الصفحات 141-164.

- أحمد بلعجال. 2006. الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد الزاهري (1900-1956) - مذكرة ماجستير. قسنطينة :أحمد منتوري ، 2006.

- ـــ. 2015. الفكر الإصلاحي عند الشيخ محمد سعيد الزاهري 1900-1956. جامعة الواد. مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية. جوان, 2015، 9، الصفحات 141-164.

- محمد طالب الإبراهيمي. 1997. عيون البصائر. بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1997.

- البصائر. 1936. الجزائر، مارس, 1936، 11، الصفحات 94-95

- محمد الصالح الجابري. 1989. النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962. الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1989

- صالح خرفي. ب.ت. محمد سعيد الزاهري. الجزائر : الديوان الوطني للكتاب، ب.ت.

- رغداء محمد زيان. 2007. محمد سعيد الزاهري وكتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير. مجلة التراث العربي. دار إتحاد الكتاب العرب، أوت, 2007، المجلد 27، 107، الصفحات 69-80.

- سيف الإسلام الزبير. 1985. تاريخ الصحافة في الجزائر. الجزائر : الديوان الوطني للكتاب، 1985. المجلد 6.

- العربي الزبيري. 1985. المثقفون الجزائريون والثورة. الجزائر : المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر، 1985.

- الشهاب. 1933. أوت, 1933، المجلد 9، الصفحات 366-367.

- عبد القادر قوبع. 2008. الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب)،1920-1945) مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر . الجزائر : جامعة بن يوسف بن خدة، 2008.

- عمار طالبي. 1997. أثار ابن باديس. الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والإشهار، 1997. المجلد 2.

- عبد الكريم طبيش. 2007. أدب المقاومة عند محمد سعيد الزاهري من خلال جريدة البرق (رسالة ماجستير). قسنطينة : جامعة أحمد منتوري، 2007.

- عبد المالك مرتاض. 2003. أدب المقاومة الوطنية في الجزائر1830–1962 . وهران : المركز الوطني للدراسات والبحث، 2003.

- ـــ. 1976. نشأة الصحافة العربية و تطورها في الجزائر. مجلة الثقافة. جوان, 1976، 33.

- يمينة كحكاح. 2006. الحركة الإصلاحية في منطقة الزيبان، الشيخ سعيد الزاهري نموذجا 1900-1956 (رسالة ماجستير).

قسنطينة : جامعة أحمد منتوري، 2006

- علي مراد. 1999. الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والإجتماعي. 1925 -1940. [المترجمون] محمد يحياتن. 2. الجزائر : دار الحكمة، 1999.

- فوزي مصمودي. 2006. تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها 1900-1956. الجزائر : دار الهدى، 2006.

. - إبراهيم مهديد. 2006. المثقفون الجزائريون في عمالة وهران. خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850 -1912. وهران : دار الغرب، 2006.

-Achour, cherif. 1996. Memoire Algérienne:Dictionnaire bibliographique. Alger : Dahleb, 1996.

-El korso, Mohamed. 1989. Politique et Religion en Algérie ,l'Islah :ses structures et ses Hommes, le cas de l'association des Ulama Musulmans Algeriens en Oranie 1931-1945. Paris : (these de doctorat), 1989.

-Houcine Ait Ahmed .1983Mémoires d'un combattant, l'esprit d'indépendance, 1942-1952 .Paris : Missinger.1983 ،

-Kaddache, Mahfoud. 1978. Histoire du nationalisme Algérien. Alger : OPU, 1978. Vol. 2.

محمد سعيد الزاهري 1899-1956